

## تفسير ابن كثير

يُخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى أي يشقه في الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب والثمار على اختلاف لوانها وأشكالها وطعومها من النوى ولهذا فسر قوله { فالق الحب والنوى } بقوله { يخرج الحي من الميت ومخر الميت من الحي } أي يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميت كقوله { وآية لهم الأرض الميتة أحيناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون } إلى قوله { ومن أنفسهم وما لا يعلمون } و قوله { ويخرج الميت من الحي } معطوف على { فالق الحب والنوى } ثم فسره ثم عطف عليه قوله { ومخر الميت من الحي } وقد عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى فمن قائل : يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه ومن قائل : يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها .

ثم قال تعالى : { ذلکم إِنَّمَا } أي فاعل هذا هو إِنَّمَا وحده لا شريك له { فَأَنِّي تُؤْفِكُونَ } أي كيف تصرفون عن الحق وتعديلون عنه إلى الباطل فتعبدون معه غيره وقوله { فالق الإصباح وجعل الليل سكنا } أي خالق الضياء والظلام كما قال في أول السورة { وجعل الظلمات والنور } أي فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضيء الوجود ويستثير الأفق ويض محل الظلام ويهذب الليل بسواته وظلام رواقه ويحيي النهار بضيائه وإشراقه كقوله { يغشى الليل النهار يطلبه حثينا } فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه فذكر أنه فالق الإصباح وقابل ذلك بقوله { وجعل الليل سكنا } أي ساجيا مظلماً لتسكن فيه الأشياء كما قال { والضحى \* والليل إذا سجى } وقال { والليل إذا يغشى \* والنهار إذا تجلى } وقال { والنهار إذا جلاها \* والليل إذا يغشاها } وقال صهيب الرومي بـه لامرأته وقد عاتبته في كثرة سهره : إن إِنَّمَا جعل الليل سكنا إلا لصهيب إن صهيبا إذا ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر النار طار نومه رواه ابن أبي حاتم وقوله { والشمس والقمر حسبانا } أي يجريان بحسب مقدار لا يتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً كما قال { هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل } الآية وكما قال { لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون } وقال { والشمس والقمر والنجوم مسحرات بأمره } وقوله { ذلك تقدير العزيز العليم } أي الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وكثيراً ما إذا ذكر إِنَّمَا تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر يختتم الكلام بالعزة والعلم

\* كما ذكر في هذه الآية وكما في قوله { وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم } ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيهن في أول سورة حم السجدة قال { وزينا السماء الدنيا بمناصبٍ وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم } وقوله تعالى : { وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر } قال بعض السلف : من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه أنه قد جعلها زينة للسماء ورجوها للشياطين ويهتدى بها في الظلمات البر والبحر وقوله { قد فصلنا الآيات } أي قد بيناها ووضحتها { لقوم يعلمون } أي يعقلون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل